الصيف

قصة بقلم محمد أحمد عطيات

سار عشماوي كدأبه كل صباح ، ولم تكن شمس اغسطس قد اصلت الكون بنارها الحامية بعد ، وخرج من ذلك الزقاق اللزج ابدا ، الى « ارض يعقوب » تحوطه روائح الدم والعفونة المتصاعدة من حي « المذبح » ، المختلطة بروث البهائم المتطاير في الهواء مع الاتربة التي تهب كلما سارت سيارة مسرعة ، او كلما جرت جحافل الجمال بهياكلها الضخمة تسوقها العصي الى مصيرها المحتوم ، وقد يجذب هذا المنظر انتباه الزائر الغريب لهذا الحي ، ولكن عشماوي لم تعد عيناه تلتقطان هذه الصور او تحدقان فيها النظر ، وكثيرا ما تصفعه جاموسة بذيلها على وجهه فلا يفعل اكثر من ان يمسح عن وجهه اثار الصفعة بحركة آلية ليس بها اثر من التأفف ، وقد تحوطه مجموعة من الماعز وتمر احداها بين ساقيه الطويلتين ، فينزوي مبتعدا عنها ينشد الرصيف ، ولم يكن الرصيف ايضا يحميه ، اذ قد يخرج احد صبية المقاهي الشعبية المتراصة فيفرغ دلوه على ارضية الطريق فيتطاير رذاذ المياه الى ملبسه، فيسرع الخطى متفاديا المياه بحركة راقصة بارعة ، وكلما التوى الطريق الضيق كالثعبان ، انحدر معه عشماوي ذاكرا اسماء الله الحسنى ، ومبسملا ومحوقلا ومستبشرا الخير في فاتحة يومه ...

قبل ان يخرج عشماوي من داره هذا الصباح ، قالت له زوجته :

ـ « يا ابا علي ، انت تشتغل مع اولاد الذوات ، الذين يأكلون اشكالا والوانا ، ولا تحضر معك مرة واحدة حاجة حلوة تفرح العيال... هل انت تدفع ابيض ولا اسود ... »

واذ اجابها : « لكن لا استطيع يا ام علي ، انت عارفة ، العين بصيرة واليد قصيرة . » اعادت عليه القول مستعينة بالاشارات من يديها ، ومحركة عضلات وجهها : « هذا جارنا ، الطباخ يحضر معه كل يوم اشهى الطعام ، ما لم تره عين ، وانت في الصيف ، موسمنا ، ولا تستطيع ان تحضر شيئا يساعد ... »

فظل يردد كعادته : « لا استطيع يا امرأة ، لا استطيع ... »

وهكذا كان يسير الحال في كل صباح ، ثم تنتهي المناقشة عند هذا الحد ... ، ولكنها هذا الصباح زادت عن حدها يا عشماوي، وهي معذورة ، مسكينة ، وما ذنبك ، لولا هذا الطباخ النكد ، لما اشتهت امرأته اطايب الطعام ، ولا احس اطفاله بمرارة الحرمان ... يا ام علي، كما قلت لك لا إستطيع ، ولو تعرفي كم اتحمل المر من اجلكم ، لما طاردتني بطلباتك هذه ، وماذا افعل انا ، وروائح الطعام تغزو خياشيمي، والجوع يضرم امعائي ، فاحرك انيابي الجائعة في قطعة اللادن ، وادعها تمزقها في وحشية تسترعي انتباه الاطفال في النادي وتثير ضحكاتهم..

وتابع مسيرته اليومية ، ووضع قدما على سلم عربة الاوتوبيس ، وترك القدم الاخرى متطايرة في الهواء ، وامسك بكلتا يديه بحديد الاوتوبيس الناعم ... حتى وصل الى مرماه ، ودخل النادي محييا عماله ، وسار لتوه الى حجرة الملابس ، فخلع عنه القميص والبنطلون، وسار بجلده الاسود اللامع ككلب البحر ، والصفارة في رقبته الطويلة، وقامته السامقة مشدودة ، وخطواته العسكرية تضرب في كبرياء الارضية الرخامية البيضاء المحيطة بحمام السباحة ، وعيناه الحمراوان تطوفان بساحة السباحة ، ولاحظ ان احدا لم يحضر بعد ، ما زال الوقت مبكرا، التاسعة صباحا ، لا بد انهم يغطون في نومهم ... وادار الالة الكهربائية ليمتلىء الحمام بالمياه الصافية ، ومارس واجبات عمله اليومية بهمة ونشاط ، وكأنه وقد نفض عنه ثيابه ، ترك معها احاديث هذا الصباح الاليمة ... مع الساعة العاشرة كانت المياه قد صعدت الى نصف عمق الحمام ، وبدأت أفواج الناس تزحف الى الموائد المحيطة ببركة المياه الصناعية ، يشهدون المياه تعلو رويدا رويدا ، ووجه عشماوي صبية النادي الى التقاط اوراق الاشجار المتساقطة على صفحة المياه . كان رواد النادي يتابعونه ويدفعون السأم بتتبع تحركاته ، كان يتنقل بين اركان الساحة بنشاط وجلده الاسود يلمع ، وبدت الصفارة المعدنية المعلقة في وسط شعر صدره كميدالية فضية يعتز بها هذا الانسان ، وبين الان والاخر تنفرج شفتاه عن ابتسامة عريضة محييا الرواد . وما ان بلغت الساعة الحادية عشرة حتى بدأت الشمس زحفها العنيد الى كبد السماء ، وصيف القاهرة حار جدا هذا العام ، وكل عام ، وتترامى الى سمعه تعليقات النسوة الحسناوات ، وهن يتشدقن بالكلمات في اصوات رخيمة كسولة « تقول الجرائد ان صيف هذا العام حرارته لم تشتد الى هذا الحد الا مرة واحدة منذ ثلاثين عاما ... » ... « لن امكث يوما اخر في هذا القيظ الخانق ، ليترك زوجي اعماله ، ونذهب الى جنة الاسكندرية ... اعددت كل شيء للمصيف ، الملابس، واردية السباحة ، انفقت شهرا من الوقت في الاعداد ، ثم تأجل كل شيء مرة واحدة ... العمل يا اختي ... » ... « اف .. الحر .. هيا نخلع ملابسنا، ونغمس اجسامنا في المياه الباردة قبل ان تدركها الحرارة...»

نظر الى الساعة المعلقة في صدر المبنى المخصص لادارة النادي ، كان عقرب الساعة الاكبر جاثما على العقرب الاصغر ، يعلنان انتصاف النهار ، وتمكنت الشمس الملتهبة من كبد السماء ، وراحت ترسل نارها الحامية الى ارضية النادي الرخامية فتحيلها الى نار تتلظى عليها اقدام الخارجين من المياه ، وكانت صيحات الاطفال البريئة تتخاطف اسمه « عم عشماوي انفخ لي العوامة ... » .. « عم عشماوي امسك يدي ... » .. « عم عشماوي ميمي طلع فوق ... » والبنات الصغيرات يتجاذبن يديه في دعابة بريئة .

هو هنا شيء مهم ، كيف تريده المرأة المجنونة ان يطوف بالموائد يجمع الفضلات ويحملها اليها ، ولكن ليس في الدار طعام ... عما قريب تحمل الايدي السوداء طاولات الطعام المعدنية اللامعة ، وتغمر الموائد بالوان والوان من الطعام ، وتخرج من المطبخ روائح الشواء فتخدر رأسه ، والمرأة المنكودة تهفو الى لقيمات من هذا الزاد الزائد عن الحاجة، والاولاد يمنون النفس بمقدم الاب محملا بما لذ وطاب ... وصر على اسنانه بعنف ، ثم دفع قطعة اللبان تحت انيابه ، وراح يمزقها شر ممزق ...

صعد عشماوي الى منصته الخشبية ، كله عيون تنظر وترقب، هو مسئول عن ارواح هؤلاء الناس ، الاطفال والكبار ، يشير الى هذا بألا يقفز من اعلى الحمام ، وينفخ في صفارته حتى لا يتعارك الاطفال على الكرة في الماء ، يجب ان تستوعب عيناه الحمراوان كل حركة في ساحة السباحة ، كل يوم من ايام الصيف يؤدي اعمال المراقبة بنجاح ، ولكن فكره يدور اليوم بشيء اخر ، قالت له امرأته « هذا جارنا الطباخ يحضر معه كل يوم أشهى الطعام ، ما لم تره عين ، وانت في الصيف ، موسمنا ، ولا تستطيع ... » وظلت كلماتها تتردد في اذنيه ، ثم راح يضغط بفكره على كلمتي « الصيف ، موسمنا » ، فعلا هذا موسم العمل، العمل مقابل جنيهات قليلة زيادة عن المرتب المعتاد ، ولكن كيف انجز ما تطلبين يا امرأة ، لم اعتد جمع الفضلات من الموائد ، فضلات الحسان ،

اللائي يتمسحن بك يا عشماوي ، هذه ترقد نحرها على يديك وتركل الماء ركلات مضطربة ، وهذه تطلب منك ان تدفعها الى الماء ، نساء كالغزلان ، يا امرأتي يا خفير الدرك ، يا مرضعة قلاوون ...

بلغت الساعة الثانية بعد الظهر ، بدأت الطاولات النحاسية تلمع فوق الايدي السوداء لسقاة النادي ، أخذت الابخرة الشهية تسبيد هجماتها الى خياشيمه ، صر على انيابه يفتك بقطعة اللبان داخل فمه ، دفن نظراته في مياه الحمام بعيدا عن الموائد ، كانت نظراته ميتة عاجزة عن تتبع السابحين في المياه ، لم يعد يوجه أحدا الى السباحة الصحيحة، لم يعد يهمه ان يقفز الصغار من اعلى الحمام ، بدت له القفزات مجرد دوائر تكبر وتكبر حتى تضيع معالمها ثم تعود تتجمع مرة ومرة كلما قفزت الاجسام ، ما زالت الطاولات المعدنية تومض كلما سارت تحت اشعة الشمس الصفراء ، ما زالت الوان الطعام تتعدد وزجاجات البيرة تفرغ محتوياتها الذهبية في الاكواب ، ... بينما يجده الناظر اليه ،عشماوي اخر ، كتلة سوداء منكمشة ، بائسة ، يائسة ، عاجزة عن الاتيان باية حركة ، صمتت صفارته ، رقد تكسيرة على صدره، لم يعد شيء يتحرك فيه سوى الفكين ، الفكين اللذين يمضغان اللادن ، يمزقان اللادن،أكملت عقارب الساعة دورة اخرى ، اصبحت الساعة الثالثة ، كفت الافواه الناعمة عن التقاط الطعام ، واتكأت الاجساد على ظهور الكراسي وايديها ...

ومضت فكرة في رأس عشماوي الصلعاء ، تلفت يمنة ويسرة،هبط من منصته ، انسان غريب جائع يتردد في رأسه صدى كلمات زوجته الفاجعة هذا الصباح ، واعطى لمياه الحمام الصافية ظهره المنتفض بالفكرة ، لاول مرة يدير وجهه بعيدا عن ساحة السباحة ، وسار كالمخدر ، خطا خطوة وخطوة وبدأ يجمع بقايا الطعام ، نزع المفرش من احد الموائد ، وراحت يده الجائعة تملأ المفرش ، لا بد أن النظرات تفتك به ، هو يشعر بها تغوص في لحمه كالحراب المسممة ، تساقطت على الارضية الرخامية ، حدثت جلبة ، ضج النادي بالصراخ، ما زال عشماوي يجمع الطعام كالمجنون ، لماذا يصرخ هؤلاء المجانين ، الانه يجمع الفتات ، الانه يأخذ نصيب الكلاب ، والكلاب تزار ، الاصوات تتخاطف اسمه غاضبة ، عشماوي ، عشماوي ... ، ماذا تريدون من عشماوي،عشماوي جائع ، وفي بيته امرأة جائعة واطفال يتحرقون شوقا الى هذه الفضلات ... عشماوي ، عشماوي ، هزه سكرتير النادي ، هزة عنيفة ، ودفعه بكلتا يديه دفعة غاضبة نحو الحمام ، كانت الموائد خالية ، عند حافة الحمام كانت امرأة تولول صارخة باكية ، امتدت صفوف طويلة متراصة حول المياه ، يا عشماوي ، ادركنا يا عشماوي ، الطفل في قاع الحمام ، من ؟ ... غريق ، المسئولية ، انا الغريق فما خوفي من البلل ، قفز شابان الى المياه ، تابعتهما العيون وهما يغوصان تحت صفحة المياه ، اقفز يا عشماوي ، اترك حملك الثقيل ، واقفز ، ... لن اتركه للكلاب، اولادي احق من الكلاب ، في البيت امرأة جائعة تنتظر ... قالت له هذا موسمنا ، الصيف ، لماذا تصرخون هكذا ، صفعه مدير النادي على وجهه ، افق يا عشماوي ماذا اصابك ، احقا غريق ، من الغريق ،سمير، العوبة النادي ، انقذه يا عشماوي ، دع الابتسامات تعود ، لا تتحسس مكان الصفعة على خدك ، ليس هذا وقت الحساب ، أعتبرها ذيل جاموسة ، لا بد ان يعود سمير ، في ثوان كان حمله الثقيل طريح الارضية الرخامية ، التفت حوله الكلاب تفترسه ، قفز عشماوي سريعا الى المياه ، احدثت قفزته صوتا اشبه بصوت انفجار قنبلة ، دارت الدوائر في الماء واتسعت ، وقبل ان تضيع معالمها خرج عشماوي بالطفل الصغير ، واودع الطفل بين ايديهم ، تحولت الصفوف الطويلة حول حافة الحمام الى دائرة كبيرة يتوسطها الطفل ، جلس عشماوي على حافة الحمام وسط الكلاب ، اتت الكلاب على محتويات حمله الثقيل ، كانت الان تخرج لسنتها وتطوف بها على اثار الطعام بالارضية الرخامية..

عاد عشماوي الى سيرته اليومية ، وظلت البهائم ماضية الى مصيرها المحتوم ... !

احمد محمد عطية

النقد المسرحي عند اليونان

بقلم

الدكتور عطية عامر

استاذ الدروس الشرقية في جامعة ستوكهولم

بعد ان يحاول المؤلف الكشف عن الجذور الاولى للنقد الأدبي في مصر القديمة ، ينتقل الى تاريخ هذا النقد عند اليونان فيبحث عن خطوطه الأولى في مختلف النواحي ، ولاسيما عند شعراء المسرح من تراجيديين وكوميديين أمثال إشيل وسوفوكل وإيريبيد وأرسطوفان ؛ ثم يتصدّى لما كتبه السوفسطائيون من هذا القبيل ، تمهيداً لعرض آراء افلاطون ؛ وينتهي الى أرسطو فيبسط آراءه في التراجيديا والكوميديا مستنداً بنوع خاص الى كتاب «الشعر»

يُطلب من المكتبة الشرقية - ساحة النجمة - بيروت